

مذكرات الراوي وثيقة اجتماعية وأثروبولوجية لا تقل قيمة عن كتاب الأهوار لثيسيفر

إحصاء عام 1927: في ديالى 800000 نخلة و 82474 شجرة مشمش و 60000 برتقال

تشكل ذكريات ومذكرات عدد من كبار ضباط الشرطة العراقية التي صدرت خلال القرن الماضي، مرجعاً مهماً في سفر تاريخ جهاز الشرطة العراقية، وتحليل لمحطات مشهودة من تاريخ هذا المسلك الذي شابهت شوائب عديدة، وتعرض تأريخه للطعن والتأويل، كل يراه من زاوية نظره وتفسيره ومرجعته، فالبعض من السياسيين العراقيين يرى في الشرطة أداة النظام وعصا للقمع والتكئيل والإضطهاد، وآخرون يرون غير ذلك وأنها مجرد جهاز حرفي، منطلقين من كون الشرطي إنما يمثل عصا القانون، وهو المنفذ للأوامر والتعليمات. ولا يفترض أن نتخيل الشرطي سياسياً أكثر من السياسيين، فهو لا يعرف غير القانون والأوامر والتعليمات ولا شئ فوقها ولا بعدها.



محطات في تاريخ شرطة العراق

إعداد: د. أكرم عبد الرزاق المشداني

الحلقة الثانية

شغل عبدالجبار الراوي منصب مدير الشرطة العام في 6 حزيران 1945 في ظروف صعبة، في أثر انهيار ألمانيا النازية واستسلامها للتحالف في 8 ايار 1945 باعتبار إن العراق كان حليفاً لبريطانيا في تلك الحرب. كما حصلت حركات الشمال على إثر حركة الملا مصطفى البرزاني، وعزيرين ملو في الشمال، إضافة إلى تفاسم الواجبات الاعتيادية للشرطة. وعند تسلمه مهام وتولية قيادة الشرطة العامة فقد كان يتبعها 14 مديرية شرطة لواء إضافة إلى مديريات شرطة السكك والكمارك والسفر والجنسية والإقامة والبرور والمخابرة والقوة السيارة والمدارس والمادية الجنوبية والبيادية الشمالية وبيادية الجزيرة، فضلاً عن تشكيلات المقر وهي: التفتيش والحركات والتحقيقات الجنائية (التي أصبحت فيما بعد الأمن العامة) والإدارة والمحاكم والصحة.

خطة العمل التي اتبعها عبدالجبار الراوي (لقد مارست العمل في مسلك الشرطة 24 سنة أمضيتها في شمال العراق وجنوبه وشرقه وغربه وفي البوادي والمدن، واكتسبت خبرة عن محاسنه ومساوئه، حتى توليت منصب مدير الشرطة العام، وإذ كنت قد رسمت خطة وعينت لها اهدافاً، فإن ذلك لم يكن ارتجالاً وإنما كان نتيجة تفكير يعتمد التجربة وكانت خطتي في العمل ترمي إلى ثلاثة أهداف:

- 1- رفع مستوى ضباط وافراد المسلك.
- 2- تقوية قوات الشرطة وجعلها قادرة على القيام بواجباتها.
- 3- جعل الشرطة خاملة للشعب حقاً وصدقاً.

رأي الأثري بهذه المذكرات

العلامة الأثري يصف مذكرات عبدالجبار الراوي:

لقد قدم المذكرات الراوي الواقعة بـ 217 (صحة) الأستاذ العلامة محمد بهجت الأثري الذي وصفها بقوله: (وواقع هذا السفر، الذي بين ايدينا نفوذه، قد يجعله الفذ أو الأول من مسودات التاريخ المعاصر في بابته موضوعه، وفي جملة متطلبات التاريخ الحديث المسحوق، التي تحدث في النفس الوثوق به، والاطمئنان إليه، والاعتماد عليه. وهو في إيماءاته هذه إلى مضامين سفره، قد بالغ بتواضعه، متشعباً مع فطرته الطبيعية السميحة، فلم يخلع عليه من العنوت أكثر مما فيه، واختصر واقتضب، بل تسامح كثيراً فذهب يقول: إن كتابه ليس سيرة شخصية، أو تاريخاً للأيام التي عاصرتها، وإنما هو سرد للأحداث... وهنا ممكن تواضعه، فما كتبه كما توهم عبارته بالسرور الإنشائي، ولكنه ذخيرة ضخمة من مادة تاريخية وافرة وخصبة، تولدت عنده من المعاناة في ثلاثة عهود من عهود العصر الحديث، تداولت الحكم والسياسة والإدارة في العراق، وقدر له منذ نشأته الأولى أن يتغصص في جوانب منها، ويشغل أنواعاً من الوظائف العسكرية والإدارية والمدنية، متدرجاً في رتبها، رتبة بعد رتبة، ثم يقفح بخارعة ميدان السياسة العامة في مضطربها الواسع، وتسوي له من جملة أطوار حياته من التجارب هذه الذخيرة يودعها سفره في أصفى صورة، واضيق



شرطي ملكي عراقي يعطي حصاناً عام 1951 في صحراء الأنبار (الزمان)



توفيق السويدي

(التي وضع كتاباً مستقلاً عنها طبع ثلاث طبعات) والحلة وكربلاء. ومن المفارقات التي تثير الألم في النفس أن نجد المدن العراقية في الثلاثينات من القرن الماضي أكثر ثراء منها الآن، ففي إحصاء عام 1927 كان في ديالى 800000 شجرة نخيل و 82474 شجرة مشمش و 60000 برتقال، أما الماشية فالغنم (275032) والماعز (87643) والإبل (9461) والجاموس (2298)، عدا ما يهرب ويقدر بالضغف. وفي شأن السلوك السياسي سوف نتكشف الكيفية التي يمزق بها السياسيون الإنتهازيون نسيج الشعب من خلال اللعب على المسألة العشائرية. يقول الراوي: (مذكراتي التي دونتها قبل أربعين عاماً، واستعرضها اليوم مملوءة بالشكوى والألم، حتى أنني كنت أجهر بأنه يجب محاسبة السياسيين في بغداد ومعاقبتهم قبل معاقبة هؤلاء الذين تمردوا بإغواء منهم، لأنها فتحة ليس من المصلحة إثارتها، إذ هي تشبه اللعب بالنار التي قد تحرق صاحبها قبل غيره. إن مجيء وزارة تعطل كتلة عشائرية معناه إثارة الفتنة التي قد تؤدي إلى محنة في البلاد، وهي حديثة عهد بحكم نفسها يجهل عامة الناس الأعبى السياسية ومساكها التي يحرض المتحرسون والمخترقون فيها على استغلال بساطة الناس وعواطفهم، ولا سيما أبناء العشائر).

العشائر والتدخل الحكومي في الانتخابات النيابية لما كان مختصراً للحلقة، وأوضاع السجون لما كان مديراً عاماً للسجون، وكيفية ترشيحه للمجلس النيابي وانتخابه نائباً عن لواء الديلم، وأخيراً اختياره لعضوية مجلس الاتحاد العربي إلى قيام الثورة على الملكية في 14 تموز 1954. إن مذكرات عبدالجبار الراوي تعد وثيقة اجتماعية وأثروبولوجية لأن الراوي يقدم وصفاً تفصيلياً لحالة كل مدينة كانت محطة في سفره الطويل، فعلى سبيل المثال حين التحق بجيش الثورة العربية الشمالي فإنه يقدم وصفاً لأحوال المدن من حيث عمرانها وأهميتها الاقتصادية والجغرافية وطبيعة سكانها وعاداتهم وتقاليدهم وأحوالهم المعيشية، مثل بومبي وكراچی وپور توفيق والسويس والعقبة ومعان والقطرانة وعمان ودرعا ودمشق وتدمر والسخنة ودير الزور ثم راو، وقد قدم مثل هذا الوصف عن المدن العراقية التي تولى مناصباً فيها مضافاً إليها وصف أحوالها الديموغرافية وحالتها الاقتصادية وطرقها المهمة وأنهارها وعشائرها الرئيسية ومشكلاتها والحوادث المهمة التي وقعت فيها وسلوك الضباط البريطانيين وصداماته بهم لأنه كان يرفض تدخلاتهم، ومن المدن التي وصفها الموصل ولواء الديلم ولواء وديالى (خانقين وبلدروز والنطف خاتة ومنذلي) والديوانية والبيادية

المسحوب. أما في العهد الثاني الذي خضع فيه العراق لاحتمال البريطاني فقد تطوع كضابط في الثورة العربية وانتقل بحراً عام 1917 للالتحاق بجيش الثورة الشمالي ووصف أوضاع جيش الثورة منذ انضمامه إليه حتى دخوله دمشق، وتوزيع الأمير فيصل ملكاً عليها ثم إسقاط الجنرال غورو هذه الحكومة وتشتت العاملين فيها وعودته الخطيرة عبر الصحراء. وفي العهد الثالث؛ العهد الوطني وإنشاء الحكومة العراقية فقد وصف الوضع بعد ثورة العشرين وهو منظم للتسجيل في وزارة الدفاع عام 1921، ثم سلسلة المناصب الطويلة التي تضمنها - وأغلبها هام عاش بفعلها خضم أحداث جسيمة منها: قيادة الهجانة الشمالية والخلافات العشائرية وولاءاتها وسلوكها، قدوم عصبة الأمم إلى الموصل بعد مطالبة تركيها بها، ثورة من سموا الإخوان النحجين إمام كان مديراً للبيادية، تمرد عشائر الديوانية عام 1935 لما كان مديراً لشرطتها، انقلاب بكر صديقي لما كان مديراً لشرطة بغداد، تمرد الملا مصطفى البارزاني وعزيرين ملو لما كان مديراً عاماً للشرطة، وقد رصد تفصيلياً التحولات الإدارية والاقتصادية في العراق من خلال ملاحظاته حول الزراعة والعلاقات الزراعية، وقانون إدارة الألوية ونظام دعاوى

ولكن ما يقوله العلامة الأثري يكشف جانباً من أهمية هذه المذكرات وليس الأهمية كلها، لأن قيمتها الكبرى تتمثل في جوانب أخرى هامة منها: أنها تكشف الكيفية التي بنى فيها العراق الحديث من خلال شهادة رجل عاش لهيب الأحداث وتسلم مناصب كثيرة جداً، كما أنها تلقي الضوء على متغيرات في الحياة العربية وسياسة اجتماعاً أحاطت بها شكوك وتناقضات مريضة، أضف إلى ذلك أنها وثيقة اجتماعية وأثروبولوجية لا تقل قيمة عن كتب احتفينا بها طويلاً كتبها باحثون ورحالة أجانب مثل ثيسيفر في كتابه عن الأهوار. لقد عاش الراوي وقائع ثلاثة عهود كان فاعلاً في كل منها وشاهداً حياً على أحداثه وصراعاته فحققت تسميته بالضابط المخضرم: ففي العهد الأول الذي كان فيه العراق تابعاً للدولة العثمانية كان الراوي من ضباط الجيش الذي كان يحاصر القوات البريطانية بقيادة الجنرال (تاوزند) في الكوت، ويصد في الوقت نفسه هجمات القوات البريطانية الأخرى التي تحاول فك الحصار. ويعرض هزيمة تاوزند ثم اندحار القوات العثمانية ودخول الجنرال سود بغداد ويصف حالة بغداد آنذاك ومعاملة البريطانيين للضباط والجنود الذين تخلفوا عن الجيش العثماني



مجموعة من الشرطة العراقية في خمسينيات القرن الماضي (الزمان)



دخول القوات البريطانية بغداد عام 1917 (الزمان)



بهجت العطي (الزمان)

وزير الداخلية طلب من الراوي إصدار أمر إداري يتضمن ترقية (بهجت العطي) وكان وقتها وكيل مدير شرطة لواء الديوانية، إلا أن الراوي رفض إصدار أمر ترفيعه، وأصر على التمسك بخطة المشار إليها، لأنه لا سبيل إلى ترفيع أي ضابط مهما كان موقعه، من معاون (نقيب) إلى مدير شرطة (رائد) ما لم يدخل الدورة، وينجح فيها، ومن ثم ينجح في قيادة فوج في القوة السيارة، ومن ثم يرفع ويعاد إلى الديوانية، وهكذا لم يتم ترفيع بهجت العطي طيلة مدة وجود الراوي في رأس الشرطة العامة، يقول الراوي: (ليس ذلك لأن بهجت العطي لا يستحق الترفيع، بل من أجل الإلتزام بالخطة التي